ما يُخفف من الأحرف المشبهة بالفعل

الدكتور فاضل صالح السامرائي
الاستاذ المساعد ـ قسم اللغة العربية

الخـــلاصـــــة

يذكر النحاة ان قسماً من الاحرف المشبهة بالفعل تخفف أواخرهـا وهي إنّ وأنّ وكأن ولكن . غير أنهم لم يبينوا الغرض من هذا التخفيف ولا فائدته . وقد تتبعت هذا الامر واستعمالاته ووازنت بين النصوص فانتهيت الى أن العرب انما يخففون ما يخففون من الاحرف المشبهة لغرض يرمون اليه وفائدة يطلبونها واتضح لي أنهم انما يفعلون ذلك لغـرضـين هما :

١ ـ توسيع دائرة الاستعمال بعد أن كان منحصرا في قسم من الجمل الاسمية . فانهم اذا خففوا الحرف اتسع استعماله فأصبح يشمل الجمل الفعلية والاسمية عموما .

٢ ـ تخفيف معنى التوكيد في إنّ وأنّ او تخفيف التشبيه في كأنّ والاستدراك في لكنّ . ونظيرتها في ذلك نون التوكيد فان الثقيلة آكد من الخفيفة كما يذكر النحاة وفيما يلي ايضاح ذلك :

إنْ :

اذا خففت انّ المكسورة الهمزة بطل اختصاصها بالاسماء وجاز فيها اذا دخلت على الجمل الاسمية وجهان الاهمال والاعمال . تقول إنْ محمداً منطلق وإنْ محمـد لمنطلق قال تعـالى (ان هـذان لساحران) فان دخلت على الجمل الفعلية اهملت وجوبا وتلزمها اللام عند الاهمال فرقا بينها وبين إن النافية قال تعالى (وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) . وقال : (وان كنت من قبله لمن الغافلين) الا اذا كان الخبر منفيا فيجب حينذاك ترك اللام نحو قولك (إن خالد لن ينام) ومنه قوله :

ان الحق لا يخفى على ذى بصيرة .

وقد يستغنى عنها اذا كانت هناك قرينة معنوية تشير الى معناها كقول الطرماح :

انا ابن اباة الضيم من آل مالك وان مالك كانت كرام المعادن

فان معنى البيت واضح في مدح مالك و (إن) هنا بمعنى إنّ وليست نافية[1] . والكثير في (إن) المخففة اذا دخلت على جملة فعلية ان يكون فعلها من الافعال الناسخة كقوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وقوله (وان نظنك لمن الكاذبين) وربما دخلت على غيره كقوله :

شلت يمينك ان قتلت لمسلما .

وأجاز الكوفيون والاخفش وقوع أي فعل بعدها قال ابن مالك : (ويقاس على نحو « ان قتلت لمسلما » وفاقا للكوفيين والاخفش)[2] .

ومذهب الكوفيين ان (إنّ) لا تخفف وان الخفيفة هذه (انما هي حرف ثنائي الوضع وهي النافية فلا عمل لها البتة ولا توكيد فيها واللام بعدها للايجاب بمعنى إلا)[3] فقولك ان محمد لقائم معناه : ما محمد الا قائم .

ويردهم انها اعملت مع التخفيف قال سيبويه : (وحدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول إنْ عمرا لمنطلق . وأهل المدينة يقرؤون « وانْ كُلاً لما ليوفينهم ربك اعمالهم » يخففون وينصبون كما قالوا كأن ثديه حقان)[4] .

وذهب الفراء الى ان (ان) المخففة بمنزلة (قد) الا ان (قد) تختص بالافعال و (ان) تدخل عليها وعلى الاسماء[5] .

وجاء في (فقه اللغة) للثعالبي أن (ان الخفيفة بمعنى « لقد » كما قال جلّ ذكره (وان كنا عن عباتكم لغافلين) أي ولقد كنا[6] .

وجاء في (لسان العرب) عن ابي زيد : « وتجيء (إنْ) في موضع (لقد) ضرب قوله تعالى (ان كان وعد ربنا لمفعولا) المعنى : لقد كان من

غير شك من القـــوم ومثلـــه (وان كادوا ليفتنـــونك) (وان كـادوا ليستفزونك)[٧] .

واظن ان المقصود بقولهم انها بمعنى (قد) أنها تفيد توكيد الجمـل الفعلية اذا دخلت عليها لا انها بمعنى (قد) تماما وذلك لانها تختلف عنها .

فان (قد) فيها معنى تقريب الفعل والتوقع وهذه لمحض التوكيد ليس فيها توقع او تقريب . ثم ان الاكثر في (قد) اذا دخلت على المضارع ان تفيد التقليل بخلاف هذه التي لا تفيد غير التوكيد وذلك كقوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) .

قال الليث : (اذا وقعت ان على الاسماء والصفات[٨] فهي مشددة واذا وقعت على فعل او حرف لا يتمكن في صفة او تصريف فخففها ، تقول : بلغني ان قد كان كذا وكذا وتخفف من اجل (كان) لانها فعل ... وهي مع الصفات مشددة إنّ لك وإنّ فيها وإنّ بك واشباهها)[٩] .

وجاء في (التفسير الكبير) للرازي في (إنْ) هذه أنها (تفيد توكيد المعنى في الجملة بمنزلة « إنّ » المشددة كقولك : ان زيدا لقائم . قال الله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) وقال (ان كان وعد ربنا لمفعولا) ، ومثله في القرآن كثير . والغرض في تخفيفها ايلاؤها ما لم يجز ان يليها من الفعل ، وانما لزمت اللام هذه المخففة للعوض عما حذف منها والفرق بينها وبين التي للجحد)[١٠] .

والذى يبدو لي ان (ان) المخففة هذه تختلف عن الثقيلة في توكيدها واستعمالها .

اما من حيث الاستعمال فهي تدخل على الجمل الفعلية والاسمية وذلك انه قد يراد توكيد الحدث الفعلي فيؤتى بان المخففة ، بخلاف (إنّ) التي لا تؤكد الا الجمل الاسمية وذلك كقولك (وان كنا لفاعلين) و (انا كنا

فاعلين) فأنت تلحظ ان الاولى اكدت الحدث الفعلي بخلاف الثانية فان الاهتمام منصب على فاعل الحدث وصاحبه لا على الحدث الفعلي .

ان (ان) المخففة ، تمكننا من ايقاع الجملة الفعلية في حيز التوكيد كما تفعل (إنّ) مع الجمل الاسمية ولذلك فهي تختلف عنها في استعمالها وذلك بحسب الحاجة والقصد . فان كنت ترمي الى توكيد الحدث الفعلي جئت بانْ وان أردت توكيد الجملة الاسمية جئت بانّ .

اما من حيث التوكيد فالذى يبدو لي انها اقل توكيدا من الثقيلة والذى يدل على ذلك امور منها :

١ ـ ان تخفيف نونها يشير الى تخفيف توكيدها مشبهة في ذلك نون التوكيد الخفيفة . وقد ذكر النحاة ان نون التوكيد الثقيلة آكد من الخفيفة وهذه نظيرة تلك .

٢ ـ انك لو لاحظت ـ مثلا ـ التعبيرين : انْ كنتُ لفاعلا واني كنت فاعلا ، و (ان كنتم لمسرفين) و (انكم كنتم مسرفين) لوجدت الفرق واضحا بينهما من حيث التوكيد فانت تجد ان هناك ضميرا واحدا مع الخفيفة هو (التاء) في الجملة الاولى و (تم) في الجملة الثانية في حين انك تجد مع الثقيلة ضميرين (الياء) و (التاء) في الجملة الاولى و (كم وتم) في الجملة الثانية فالاسناد حصل مرتين مع الثقيلة بخلاف الخفيفة وذلك يشير الى قوة التوكيد في الثقيلة كما هو واضح .

٣ ـ والذى يدل على ان الثقيلة آكد من الخفيفة ، استعمالها القرآني . قال تعالى في سورة يوسف (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا **وان كنا لخاطئين** . قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ٩١ ـ ٩٢) . وقال : (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا **انا كنا خاطئين** . قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم ٩٦ ـ ٩٧) .

فأنت ترى ان اخوة يوسف قالوا لاخيهم (وان كنا لخاطئين) بان المخففة وقالوا لابيهم (انا كنا خاطئين) بالثقيلة • وقد يتبادر الى الذهن ان هذا يدل على عكس ما ذهبنا اليه فانهم مع من أساءوا اليه اساءة مباشرة جاؤا بالمخففة ومع أبيهم جاؤا بالثقيلة فكيف يدل هذا على صحة ما ذهبنا اليه ؟•

وللجواب عن ذلك نقول :

ان اخوة يوسف لما رأوا أباهم وما حل به من جراء فعلتهم من الوهن واللوعة وحرقة الفؤاد وذهاب عينيه من الحزن دعاهم ذلك الى توكيد الاعتذار والاعتراف بالخطيئة بخلاف حالة اخيهم فان الله اكرمه بعدهم وبوأه مكانة عالية ومكن له في الارض وكأن فعلتهم عادت عليه بالخير والرفعة بعكس ما جرّت على أبيهم فهناك فرق بين الحالتين فكان الشعور بالخطيئة مع والدهم اكبر واعظم فقالوا ما قالوا •

والذي يدل على ذلك السياقُ القرآني فان يوسف دعا لهم بالمغفرة من دون ان يسألوها منه قال : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) •

واما ابوهم فلم يستغفر لهم مع طلبهم الاستغفار منه وانما وعدهم بالاستغفار (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين • قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) فوعدهم بالاستغفار في المستقبل ثم انظر كيف جاء بـ (سوف) لا بالسين ، و (سوف) ابعد في الاستقبال من السين مما يدل على عمق الاثر في نفسه •

ومما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى في سورة الاعراف : (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ٦٥ قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة **وانا لنظنك من الكاذبين** ٦٦ قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين • ابلغكم

رسالات ربي وانا لكم ناصح أمين • أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم •••) •

وقوله في سورة الشعراء : (قالوا انما انت من المسحرين ١٨٥ وما أنت الا بشر مثلنا **وان نظنك لمن الكاذبين** ١٨٦ فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين ١٨٧ قال ربي أعلم بما تعملون • فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة •••) • فأنت ترى انه قال في سياق آيات الاعراف (وانا لنظنك من الكاذبين) وفي سياق آيات الشعراء (وان نظنك لمن الكاذبين) •

ويُظهر سياق الايات ان التكذيب في آيات الاعراف اشد منه في آيات الشعراء والذى يوضح ذلك انه في آيات الاعراف قال (قال الملأ الذين كفروا من قومه) بخلاف آيات الشعراء فانه قال (قالوا انما أنت من المسحرين) •

وانت ترى الفرق بين القائلين ففي الآيات الاولى قول الملأ الذين كفروا • والقائلون في الآيات الثانية مختلطون فان فيهم الشديد التكذيب والقليل والامعة والخائف فهو تكذيب مختلط لا يصل الى تكذيب الذين كفروا خصوصا والذي يدل على ذلك قوله تعالى بعد آيات الشعراء (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أن فيهم قلة مؤمنة فهو نسب الكلام في آيات الشعراء الى أصحاب الايكة عموما بخلاف آيات الاعراف فانه نسب الكلام الى الذين كفروا خاصة •

ثم انظر الى السياق مرة اخرى وكيف تعقب الرسول كلام قومه بعد كل من الآيتين يتبين لك ما ذكرته واضحا فان هودا عليه السلام ردّ على قومه بآيات عدة (قال يا قوم ليس بي سفاهة ••• الخ) بخلاف آية الشعراء فانه لم يزد على قوله (قال ربي أعلم بما تعملون) •

ومن هنا يتبين الفرق واضحا بين التعبيرين فدل ذلك على ان (ان) الثقيلة آكد من الخفيفة .

أنْ :

تخفف (أنّ) كما تخفف (إنّ) وعند الجمهور أنها اذا خففت لا تلغى ولا يظهر اسمها الا للضرورة كقول الشاعر :

فلو انْك في يوم الرخاء سألتني فراقك لم أبخل وأنت صديق

ولا يجيء خبرها الا جملة واسمها ضمير الشأن محذوف وذلك نحو قولك : علمت ان سوف يحضر سعيد والتقدير (انه)[11] .

جاء في (كتاب سيبويه) : (ومن ذلك والخامسة ان غضبُ الله عليها فكأنه قال : انه غضب الله عليها لا تخففها في الكلام ابدا وبعدها الاسماء الا وأنت تريد الثقيلة مضمرا فيها الاسم ...

والدليل على انهم انما يخففون على اضمار الهاء انك تستقبح قد عرفت أن يقولُ ذاك حتى تقول (أن لا) أو تدخل سوف أو السين أو قد ، ولو كانت بمنزلة حروف الابتداء لذكرت الفعل مرفوعا بعدها كما تذكره بعد هذه الحروف كما تقول انما تقول ولكن تقول)[12] .

ومذهب الكوفيين انها لاتعمل شيئاً[13] .

والصواب أنها قد تعمل وقد ورد شيء من ذلك كما ذكرنا في قوله (فلو انك) ويذكر النحاة وجه الاختلاف بينها وبين ان الخفيفة الناصبة للافعال بأن (ان) المخففة من الثقيلة تفيد التحقيق واليقين بخلاف الناصبة فانها لا تدل على اليقين .

جاء في (كتاب سيبويه) : (وذلك قولك قد علمت ان لا يقولُ ذاك وقد تيقنت ان لا تفعلُ ذاك كأنه قال : انه لا يقول وأنك لا تفعل .. وليست (ان) التي تنصب الافعال تقع في هذا الموضع لان ذا موضع يقين وايجاب ...

فاما ظننت وحسبت وخلت ورأيت فان (انْ) تكون فيها على وجهين :

على انها تكون (ان) التي تنصب الفعل ، وتكون الثقيلة فاذا رفعت قلت : قد حسبت ان لا يقولُ ذاك وأرى ان سيفعل ذاك ولا تدخل هذه السين في الفعل ههنا حتى تكون انه ... وانما حسنت (انه) ههنا لانك قد أثبتّ هذا في ظنك كما أثبته في علمك وانك أدخلته في ظنك على انه ثابت الآن كما كان في العلم ولولا ذلك لم يحسن (انك) ههنا ولا (انه) فجرى الظن مجرى اليقين لانه نفيه .

وان شئت نصبت فجعلتهن بمنزلة خشيت وخفت فتقول : ظننت ان لا تفعلَ ذاك ، ونظير ذلك (تظن ان يفعل بها فاقرة) و (ان ظنا ان يقيما حدود الله) ... ولو قال رجل : أخشى ان لا تفعلُ ذاك يريد أن يخبر انه يخشى امرا قد استقر عنده انه كائن جاز وليس وجه الكلام ...

وتقول : ما علمت الا ان تقومَ وما اعلم الا ان تأتيَه اذا لم ترد أن تخبر انك قد علمت شيئاً كائنا البتة ولكنك تكلمت به على وجه الاشارة كما تقول : أرى من الرأي ان تقوم . فأنت لا تخبر أن قياما قد ثبت كائنا او يكون فيما يستقبل البتة فكأنه قال : لو قمتم ، فلو أراد غير هذا المعنى لقال : ما علمت الا أن سيقومون[١٤] .

فهنا جاءت الناصبة مع العلم كما ذكر سيبويه لانه ليس المقصود بها اليقين والتحقيق وانما هو بمعنى قولك : أن تقوم خير لك في رأيي .

وجاء في (المقتضب) : (أما ما كان من العلم فان « ان » لا تكون بعده الا ثقيلة لانه شيء قد ثبت واستقر وذلك قولك : قد علمت ان زيداً منطلق ، فان خففت فعلى ارادة التثقيل والاضمار تقول : قد علمت ان سيقوم زيد تريد انه سيقوم زيد . قال الله عز وجل : (علم ان سيكون منكم مرضى) لانه شيء قد استقر .

ألا ترى انه لا يصلح علمت أن يقومَ زيد لان (ان) الخفيفة انما تكون لما لم يثبت نحو : خفت أن تقومَ يا فتى وأرجو أن تذهبَ الى زيد لانه شيء لم يستقر ، فكل ما كان من الرجاء والخوف فهذا مجازه .

فأما الافعال التي تشترك فيها الخفيفة والثقيلة فما كان من الظن .

فاما وقوع الثقيلة فعلى انه قد استقر في ظنك كما استقر الاول في علمك وذلك قولك : ظننت انك تقوم وحسبت انك منطلق ...

واما النصب فعلى انه شيء لم يستقر فقد دخل في باب رجوت وخفت بهذا المعنى[١٥] وجاء في (المغني) : (أن تكون مخففة من الثقيلة فتقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته نحو (أفلا يرون ان لا يرجعُ اليهم قولا)[١٦] .

وجاء في حاشية الشمني على المغني بيان المقصود بقول المغني (أو ما نزل منزلته) قال : (واما المنزل منزلته فهو الظن بتأويل أن يكون غالبا مقاربا للعلم)[١٧] .

وجاء في (كتاب الجمل) للزجاجي : (تقول : أريد ان تقومَ وأحب ان تخرجَ ... فتنصب الفعل بأن وكذلك ان كان قبلها الافعال التي تطلب الاستقبال نصبت بها الفعل .

فان وقعت قبلها الافعال التي تدل على اثبات الحال والتحقيق ارتفع الفعل ههنا وكانت مخففة من الثقيلة كقولك : علمت ان تقومُ ترفع الفعل لا غير ، لان العلم لما قد تيقن وان ههنا مخففة من الثقيلة المشددة ...

فان وقع قبلها الظن جاز فيما بعد (أن) الرفع والنصب كقولك ظننت ان لا تقومَ بالنصب اذا لم ترد تحقيق الظن وظننت ان لا تقومُ بالرفع اذا اردت به معنى (علمت) لان الظن في كلام العرب قد يكون بمعنى العلم قال الله جل وعز (الذين يظنون انهم ملاقو ربهم)[١٨] .

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) : (ان « ان » التي ليست بعد

العلم ولا ما يؤدي معناه ولا ما يؤدي معنى القول ولا بعد الظن فهي مصدرية لا غير سواء كانت بعد فعل الترقب كحسبت وطمعت ورجوت وأردت أو بعد غيره من الافعال كقوله تعالى (او لم يكن لهم آية ان يعلمه) وأعجبني ان قمت ... أو لا بعد فعل كقوله تعالى (لولا أن كتب الله عليهم الجلاء) ...

والتي بعد العلم مخففة لا غير وكذا التي بعد ما يؤدى معنى العلم ان لم يكن فيه معنى القول كتحققت ونظرت وانكشف وظهر وان كان فيه معنى القول كأمر ونزل وأوحى ونادى فان فيها معنى اعلم وقال معا)[١٩] .

وجاء في (المغني) في ان الناصبة : (ان تكون حرفا مصدريا ناصبا للمضارع وتقع في موضعين : احدهما في الابتداء فتكون في موضع رفع نحو (وان تصوموا خير لكم) ...

والثاني بعد لفظ دال على معنى غير اليقين[٢٠] .

فاتضح بهذا ان (ان) المخففة من الثقيلة انما هي تفيد التحقيق واليقين بخلاف الناصبة للافعال .

وهناك فرق آخر بين المخففة وان الناصبة للافعال وهو ان الناصبة لا تكون الا للاستقبال كقولك (ارغب في ان تزورني) واما المخففة فانها غير مقيدة بزمن فقد تكون للمضي كقوله تعالى (ونعلم ان قد صدقتنا) والحال كقوله تعالى (افلا يرون الا يرجع اليهم قولا) و (أشهد ان لا اله الا الله) والاستقبال كقوله تعالى (علم ان سيكون منكم مرضى) .

والذى يبدو أن (أن) تخفف للاغراض الآتية :

١ ـ ايقاع الجملة موقع المصدر سواء كانت اسمية ام فعلية وهذا فارق رئيس بين الثقيلة والمخففة فان الثقيلة مختصة بايقاع الجملة الاسمية موقع المصدر اما المخففة فانها توقع الجمل الاسمية والفعلية موقع المصدر ، فالاسمية

كقوله تعالى (وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه) وقوله (فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو) والفعلية كقوله تعالى (ونعلم ان قد صدقتنا) وقوله (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا) وذلك بحسب الحاجة والقصد فان اردت اقامة الجملة الاسمية مقام المصدر جئت بالثقيلة او بالخفيفة مع بعض اختلاف بينهما فقد تدخل الخفيفة على ما لا تدخل عليه الثقيلة من الجمل الاسمية كقوله تعالى (فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو) فقد اوقعت الجملة المنفية بلا النافية للجنس موقع المصدر ولا يصح للثقيلة ان تباشر مثل هذه الجمل • والنحاة يقدرون ضمير الشأن في نحو هذا •

وان اردت اقامة الجملة الفعلية مقام المصدر جئت بالمخففة كقوله تعالى (علم ان سيكون منكم مرضى) •

وهي في ذلك غير عاملة فيما أرى نظيرة ان ولا موجب لتقدير ضمير الشأن فكما ان (ان) اذا خففت وقعت بعدها الجمل الفعلية والاسمية فهذه نظيرتها • وقد اختلف حكمها بعد تخفيفها عن الثقيلة ولذلك هي تدخل بعد تخفيفها على جمل انشائية مصدرة بنهي او دعاء مما لا يصلح ان يكون خبرا للثقيلة كقوله تعالى (أن لا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين) وقوله (والخامسة أن غضب الله عليها) في قراءة من قرأ بالفعل وقولهم (أما أن جزاك الله خيراً) مما يدل على أنها اختلفت عن الثقيلة في بعض أحكامها • قال الليث : (اذا وقعت « ان » على الاسماء والصفات فهي مشددة واذا وقعت على فعل أو حرف لا يتمكن في صفة او تصريف فخففها • تقول بلغني أن قد كان كذا وكذا وتخفف من اجل (كان) لانها فعل ولولا (قد) لم تحسن على حال من الفعل حتى تعتمد على (ما) أو على الهاء كقولك : انما كان زيد غائبا وبلغني انه كان أخو بكر غنيا ، وكذلك بلغني انه كان كذا وكذا تشددها اذا اعتمدت ومن ذلك قولك : أن رب رجل فتخفف

فاذا اعتمدت قلت : انه رب رجل شددت • وهي مع الصفات مشددة انّ لك وانّ فيها وانّ بك واشباهها[٢١] •

٢ ـ انها تؤكد الجمل الفعلية والاسمية بخلاف الثقيلة فانها مختصة بتأكيد الجمل الاسمية • والذى يدل على انها للتأكيد ما ذكرناه آنفا من اقتران افعال العلم واليقين بها او ما نزل منزلته كقوله تعالى (علم ان سيكون منكم مرضى) مما يشاكلها في التحقيق •

وهذا يكون بحسب الحاجة والقصد فان الاهتمام في الكلام قد يكون منصبا على صاحب الحدث فيؤتى بان الثقيلة في الغالب وقد يراد بالكلام توكيد الحدث الفعلي فيجاء بالمخففة وذلك كقوله تعالى (الم تر أن الله خلق السماوات والارض بالحق) وقوله (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا) فان الاولى ثقيلة اكدت صاحب الحدث فان الكلام على الله تعالى • والثانية اكدت الحدث الفعلي وأوقعته موقع المفرد •

وهي في ذلك نظيرة (ان) تؤكد الحدث الفعلي والجمل الاسمية اذا خففت كما اسلفنا •

٣ ـ ان (ان) الثقيلة آكد من المخففة وما ذكرناه من الحجج في ان المخففة ينطبق عليها • قال تعالى في سورة الاعراف ١٤٨ (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) •

وقال في سورة طه ٨٨ ـ ٨٩ (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي • أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) •

فأنت ترى انه جاء مرة بان الثقيلة ومرة جاء بان الخفيفة ولو رجعت الى سياق الآيتين لبان الفرق بينهما • فان آيات الاعراف تذكر قصة بني

اسرائيل وعصيانهم لربهم ومخالفتهم لموسى عليه السلام بخلاف سورة طه فانه ليس السياق في ذاك وانما هو في نجاة بني اسرائيل من فرعون وفرق بين السياقين • فقد بدأت قصة بني اسرائيل في سورة الاعراف بعد قوله تعالى (وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) •

وقال في سورة طه : « يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ٨٠) •

فلذا جاءت (ان) ثقيلة في سورة الاعراف مخففة في سورة طه لان الثقيلة آكد من الخفيفة وذلك يتناسب مع مقام التبكيت في الاعراف بخلاف سورة طه والله أعلم •

كأنْ :

تخفف (كأن) ويكون حكمها في العمل كحكم ان المفتوحة ويكون خبرها جملة اسمية أو فعلية فصلت بلم أو قد فمن مجيئه جملة اسمية قوله :

ووجه مشرق اللون كأن ثدياه حقان

ونحوه قولك كأن محمد قائم •

ومن مجيئه جملة فعلية تعالى (كأن لم تغن بالامس) وقول الشاعر :

افد الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

ويقدر اسمها في كل ما مر ضمير الشأن أي كأنه •

وقد يرد مفردا كقوله :

كأن وريديه رشاء خلب

وورد : (كأن ثديه حقان)[٢٢] •

وتخفف كأن لغرضين فيما أرى :

١ – أن تدخل على الجملة الفعلية اضافة الى الاسمية بعد أن كانت مقصورة على الجمل الاسمية وذلك انما يكون بحسب الغرض فان كانت

العناية منصبة على المسند اليه (المشبه) جيء بها مشددة في الاكثر كقوله تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) وقد تكون العناية منصبة على الحالة التشبيهية لا على المشبه فيؤتى بها مخففة كقوله تعالى (فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) وكقول الشاعر :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فهناك فرق بين أن تقول : (كأن أنيسا لم يكن بين الحجون الى الصفا) وقولك (كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس) فأنت في الثانية تقصد الى الحالة التشبهية الفعلية بخلاف الاولى فانك عمدت الى لفظ المشبه وقدمته للاهتمام والعناية .

وكذلك قوله تعالى : (فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) ولم يقل (كأنها) لانه ليس المقصود ذكر المشبه بل المقصود ذكر الحالة التشبيهية فطوى ذكر المشبه . إن المقصود بالآية الكريمة هو الموازنة بين حالتين حالة الماضي وحالة الحاضر وهذا لا يتعلق بلفظ المشبه كثيرا .

ولذا ـ فيما أرى ـ لا موجب لتقدير ضمير الشأن بل هي داخلة على الجملة الفعلية نظيرة (إن) .

٢ ـ ان الثقيلة آكد في التشبيه من المخففة فإن (كأن) للتشبيه المؤكد وتخفيفها يؤدي الى تخفيف التوكيد وما ذكرناه في (ان) يستأنس به ههنا وخاصة اذا علمنا ان رأى الجمهور ان أصلها (إن) قدمت عليها الكاف للعناية .

لكن :

تخفف لكن فتهمل وجوبا عند الجمهور وذكر عن يونس والاخفش جواز أعمالها قياسا على (ان) . وتدخل على الجمل الاسمية والفعلية اذا خففت تقول : جاء محمد لكن أخوه غائب وجاء محمد لكن غاب أخوه.

قال تعالى (ولكن كانوا هم الظالمين)[٢٣] . والذي يظهر ان المخففة تستعمل لغرضين كأخواتها السابقات :

١ ـ الدخول على الجمل الفعلية اضافة الى الاسمية فبعد ان كان الاستدراك منحصرا بالجمل الاسمية اتسع بالتخفيف وشمل الجمل الفعلية أيضاً وهذا ـ كما ذكرنا سابقا ـ يكون بحسب القصد من الكلام .

ثم ان الخفيفة قد تدخل على نحو: ما جاء محمد لكن خالد وما رأيت محمدا لكن خالدا وهذه عند الجمهور خفيفة بأصل الوضع وليست مخففة من الثقيلة[٢٤] فالمخففة حرف ابتداء وهي التي تدخل على الجمل والخفيفة حرف عطف وهي التي تدخل على المفردات .

والذي أراه ان لكن الخفيفة والمخففة انما هي حرف واحد معناه الاستدراك يدخل على المفردات والجمل اسمية كانت أو فعلية بخلاف الثقيلة التي هي مختصة باستدراك الجمل الاسمية .

٢ ـ تخفيف الاستدراك فان الثقيلة آكد من الخفيفة كما سبق أن ذكرنا في أخواتها .

يتبين مما مر ان ما يخفف من الاحرف المشبهة بالفعل انما يخفف لغرضين :

١ ـ ايقاع معانيها على الجمل الفعلية اضافة الى الاسمية .

٢ ـ تخفيف التوكيد فان الثقيلة آكد من الخفيفة في كل ما مر والله أعلم .

---

(١) سيبويه ١/٢٨٣ ، المقتضب ١/٥٠ ، ٢/٣٦٣ ، التسهيل ٦٥ ، ابن الناظم ٧٢ ، ابن يعيش ٨/٧١ـ٧٢ ، الاشموني ١/٢٨٩ ، الهمع ١/١٤١ ، التصريح ١/٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٢) التسهيل ٦٥ وانظر ابن يعيش ٨/٧١ ـ ٧٢ .

(٣) التسهيل ٦٥ ، المغني ١/٣٧ ، ابن يعيش ٨/٧١ ـ ٧٢ ، الرضي ٢/٣٩٧ ، الهمع ١/١٤٢ التصريح ١/٢٣١ ـ ٢٣٢ ، شرح الدماميني على المغني ١/٥٢ .

(٤) سيبويه ٢٨٣/١ وانظر المغني ٢٤/١ ، ٣٧ الرضي ٢٩٧/٢ ٠
(٥) الهمع ١٤٢/١ ٠
(٦) فقه اللغة ٥٣٢ وانظر تأويل مشكل القرآن ٤١٩ ٠
(٧) لسان العرب ١٧٦/١٦ (انْ) ٠
(٨) المقصود بالصفات هنا حروف الجر وهو مصطلح كوفي ٠
(٩) لسان العرب ١٧٠/١٦ ـ ١٧١ (انن) ٠
(١٠) التفسير الكبير ١١٨/٤ ٠
(١١) التسهيل ٦٥ ـ ٦٦ ، ابن الناظم ٧٢ ، المغني ٣١/١ ، ابن يعيش ٧٢/٨ ـ٧٣ ، ابن عقيل ١٣٩/١ ، التصريح ٢٣٢/١ ٠
(١٢) كتاب سيبويه ٤٨٠/١ ـ ٤٨١ ٠
(١٣) المغني ٣١/١ ، همع الهوامع ١٤٢/١ ٠
(١٤) سيبويه ٤٨١/١ ـ ٤٨٢ ٠
(١٥) المقتضب ٧/٣ وانظر ٣٠/٢ ، التسهيل ٢٢٨ ٠
(١٦) المغني ٣٠/١ ٠
(١٧) حاشية الشمني على المغني ٦٥/١ ٠
(١٨) الجمل للزجاجي ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، وانظر ابن يعيش ٧٧/٨ ٠
(١٩) شرح الرضي على الكافية ٢٥٩/٢ ٠
(٢٠) المغني ٢٧/١ـ٢٨ وانظر الهمع ٢/٢ ٠
(٢١) لسان العرب ١٧٠/١٦ ـ ١٧١ (انن) ٠
(٢٢) التسهيل ٦٦ ، ابن الناظم ٧٣، ابن يعيش ٨٢/٨ ، ابن عقيل ١٤٠/١ ـ ١٤١ ، الاشموني ٢٩٣/١ ـ ٢٩٤ ، الهمع ١٤٣/١ ، التصريح ٢٣٤/١ ـ ٢٣٥ ٠
(٢٣) المغني ٢٩٢/١ ، الهمع ١٤٣/١ ، التصريح ٢٣٥/١ ، حاشية الخضري ١٤١/١ ، لسان العرب ٢٧٧/١٧ (لكن) ٠
(٢٤) المغني ٢٩٢/١ ٠

« مـراجـــع البحـث »

١ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقردار احياء الكتب العربية ٠
٢ ـ التسهيل لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
٣ ـ التفسير الكبير لفخرالدين الرازي ٠
٤ ـ الجمل للزجاجي ط٢ ١٩٥٧م/١٣٧٦هـ مطبعة كلنكسيك ١١ شارع ليل ٠
٥ ـ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ـ مطبعـة دار احيـاء الـكتب العربية ٠٠
٦ ـ حاشية الشمني على المغني ـ المطبعة البهية بمصر ٠
٧ ـ شرح الاشموني على الفية ابن مالك ـ دار احياء الكتب العربية ٠
٨ ـ شرح الفية ابن مالك لابن الناظم ـ المطبعة العلوية في النجف ١٣٤٢٠
٩ ـ شرح ابن عقيل ـ مطبعة دار احياء الكتب العربية ٠
١٠ـ شرح الدماميني على المغني ـالمطبعة البهيـة بمصر ٠
١١ـ شرح التصريح على التوضيح للازهري ـ دار احياء الكتب العربية ٠
١٢ـ شرح الرضي على الكافية ٠
١٣ـ شرح المفصل لابن يعيش طبع ونشر ادارة الطباعة المنيرية ٠
١٤ـ فقه اللغة للثعالبي ٠
١٥ـ كتاب سيبويه تصوير مكتبة المثنى ببغداد لطبعة بولاق (اوفست) ٠
١٦ـ لسان العرب لابن منظور ٠
١٧ـ مغني اللبيب لابن هشام تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد ٠
١٨ـ المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبدالخالق عضيمه ٠
١٩ـ همع الهوامع للسيوطي ـ مطبعة السعادة مصر ١٣٢٧هـ ٠